الفصل الأول

تحديد لفظة العرب

نطلق لفظة « العرب » اليوم على سكّان بلاد واسعة ، يكتبون ويؤلفون وينشرون ويخاطبون بالإذاعة و « التلفزيون » بلغة واحدة ، نقول لها لغة العرب أو لغة الضاد أو لغة القرآن الكريم . وإن تكلموا وتفاهموا وتعاملوا فيما بينهم وفي حياتهم اليومية أدّوا ذلك بلهجات محلية متباينة ، ذلك لأن تلك اللهجات إذا أُرجعت رجعت الى أصلٍ واحد هو اللسان العربي المذكور ، وإلى ألسنة قبائل عربية قديمة ، وإلى ألفاظ أعجمية دخلت تلك اللهجات بعوامل عديدة لا يدخل البحث في بيان أسبابها في نطاق هذا البحث .

ونحن إذْ نطلق لفظة (عرب) و (العرب) على سكان البلاد العربية ، فإنما نطلقها اطلاقاً عاماً على البدو وعلى الحضر ، لا نفرق بين طائفة من الطائفتين ، ولا بين بلد وبلد . نطلقها بمعنى جنسية وقومية وعلم على رسٍّ له خصائص وسمات وعلامات وتفكير يربط الحاضرين بالماضين كما يربط الماضي بالحاضر .

واللفظة بهذا المعنى وبهذا الشكل ، مصطلح يرجع الى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تأريخياً الى ما قبل الميلاد ، بل لا يرتقي عن الإسلام الى عهد جدّ بعيد . فأنت إذا رجعت الى القرآن الكريم ، والى حديث رسول الله ، وجدت للفظة مدلولاً يختلف عن مدلولها في النصوص الجاهلية التي عُثر عليها حتى الآن، أو في التوراة والإنجيل والتلمود وبقية كتب اليهود والنصارى وما بقي من مؤلفات

يونانية ولاتينية تعود الى ما قبل الإسلام . فهي في هذه أعراب أهل وبر ، أي طائفة خاصة من العرب . أما في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي الشعر المعاصر للرسول ، فإنها علَم على الطائفتين واسم للسان الذي نزل به القرآن الكريم ، لسان أهل الحضر ولسان أهل الوبر على حد سواء . «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ . لسان الذي يلحـــدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين[1] » ، « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته أعجمي وعربي . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادَون من مكان بعيد[2] » .

وإذا ما سألتني عن معنى لفظة (عرب) عند علماء العربية ، فإني أقول لك: إن لعلماء العربية آراء في المعنى ، تجدها مسطورة في كتب اللغة وفي المعجمات . ولكنها كلها من نوع البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تعتمد على نصوص جاهلية ولا على دراسات عميقة مقارنة ، وُضعت على الحدس والتخمين ، وبعد حيرة شديدة في ايجـــاد تعليل مقبول فقالوا ما قالوه ممـا هو مذكور في الموارد اللغوية المعروفة ، وفي طليعتها المعجمات وكتب الأدب . وكل آرائهم في تفســـير اللفظة وفي محاولة ايجاد أصلها ومعانيها ، هو اسلامي ، دوّن في الاسلام .

وترى علماء العربية حيارى في تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما يذهبون الى أن (يعرب) كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربـي ، ثم يقولون : ولذلك عرف هذا اللسان باللسان العربـي ، تراهم يجعلون العربية لسان أهل الجنة ولسان آدم ، أي انهم يرجعون عهده الى مبدأ الخليقة ، وقد كانت الخليقة قبل خلْق (يعرب) بالطبع بزمان طويل . ثم تراهم يقولون : أول من تكلم بالعربية ونَسـي لسان أبيه اسماعيل . ألهم اسماعيل هذا اللسان العربـي إلهاماً . وكان أول من فَتق لسانه بالعربية المبينة ، وهو ابن أربع عشرة سنة[3] . واسماعيل هو جدّ العرب المستعربة على حد قولهم .

والقائلون إن (يعرب) هو أول من أعرب في لسانه ، وانه أول من نطق

---

١ سورة النحل . رقم ١٦ الآية ١٠٣ .

٢ سورة فصلت . رقم ٤١ الآية ٤٤ .

٣ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » « عرب » ، اللسان (٢ / ٧٥) المزهر (١ / ٣٠ فما بعدها) ، ابن خلدون (٢ / ٨٦) .

بالعربية ، وان العربية إنما سميت به ، فأخذت من اسمه ، انما هم القحطانيون . وهم يأتون بمختلف الروايات والأقوال لإثبات أن القحطانيين هم أصل العرب ، وأن لسانهم هو لسان العرب الأول ، ومنهم تعلّم العدنانيون العربية ، ويأتون بشاهد من شعر (حسان بن ثابت) على اثبات ذلك ، يقولون : انه قاله ، وان قوله هذا هو برهان على ان منشأ اللغة العربية هو من اليمن . يقولون انه قال :

تعلمتمُ من منطق الشيخ يعرب أبينا ، فصرتم معربين ذوي نفر
وكنتم قديماً ما بكم غير عجمة كلام ، وكنتم كالبهائم في القفر[1]

ولم يكن يخطر ببال هؤلاء أن سكان اليمن قبل الإسلام كانوا ينطقون بلهجات تختلف عن لهجة القرآن الكريم ، وأن من سيأتي بعدهم سيكتشف سر «المسنّد» ، ويتمكن بذلك من قراءة نصوصه والتعرف على لغته ، وأن عربيته هي عربية تختلف عن هذه العربية التي ندوّن بها ، حتى ذهب الأمر بعلماء العربية في الاسلام بالطبع الى اخراج الحميرية واللهجات العربية الجنوبية الأخرى من العربية ، وقصر العربية على العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، وعلى ما تفرع منها من لهجات كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد . وهو رأي يمثل رأي العدنانيين خصوم القحطانيين .

والقائلون إن يعرب هو جدّ العربية وموجدها ، عاجزون عن التوفيق بين رأيهم هذا ورأيهم في أن العربية قديمة قدم العالم ، وأنها لغة آدم في الجنة ، ثم هم عاجزون أيضاً عن بيان كيف كان لسان أجداد (يعرب) ، وكيف اهتدى (يعرب) الى استنباطه لهذه اللغة العربية ، وكيف تمكن من ايجاده وحده لها من غير مؤازر ولا معين ؟ الى غير ذلك من أسئلة لم يكن يفطن لها أهل الأخبار في ذلك الزمن . وللأخباريين بعد كلام في هذا الموضوع طويل ، الأشهر منه القولان المذكوران ، ووفق البعض بينهما بأن قالوا : إن (يعرب) أول من نطق

---

١ كتاب الاكليل ، (١/١١٦) تحقيق (محمد بن علي الاكوع الحوالي) ، القاهرة سنة ١٩٦٣ (مطبعة السنة المحمدية) ، المكتبة اليمنية (٢) ، الاصمعي .

بمنطق العربية ، واسماعيل هو أول من نطق بالعربية الخالصة الحجازية التي أنزل عليها القرآن[1] .

أما المستشرقون وعلماء التوراة المحدثون ، فقد تتبعوا تأريخ الكلمة ، وتتبعوا معناها في اللغات السامية ، وبحثوا عنها في الكتابات الجاهلية وفي كتابات الآشوريين والبابليين واليونان والرومان والعبرانيين وغيرهم ، فوجدوا أن أقدم نص وردت فيه لفظة (عرب) هو نص آشوري من أيام الملك (شلمنصر الثالث) (الثاني؟) ملك آشور[2] . وقد تبين لهم أن لفظة (عرب) لم تكن تعني عند الآشوريين ما تعنيه عندنا من معنى ، بل كانوا يقصدون بها بداوة وإمارة « مشيخة » كانت تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية ، كان حكمها يتوسع ويتقلص في البادية تبعاً للظروف السياسية ولقوة شخصية الأمير ، وكان يحكمها أمير يلقب نفسه بلقب « ملك » يقال له (جنديبو) أي (جندب) وكانت صلاته سيئة بالآشوريين .

ولما كانت الكتابة الآشورية لا تحرك المقاطع ، صعُب على العلماء ضبط الكلمة ، فاختلفوا في كيفية المنطق بها ، فقرئت : (Aribi) و (Arubu) و (Aribu) و (Arub) و (Arabi) و (Urbi) و (Arbi) الى غير ذلك من قراءات[3] . والظاهر أن صيغة (Urbi) كانت من الصيغ القليلة الاستعمال ، ويغلب على الظن أنها استعملت في زمن متأخر[4] ، وأنها كانت بمعنى (أعراب) على نحو ما يقصد من كلمي (عُربي) و (أعربي) في لهجة أهل العراق لهذا العهد . وهي تقابل كلمة (عرب) التي هي من الكلمات المتأخرة كذلك على رأي بعض المستشرقين . وعلى كل حال فإن الآشوريين كانوا يقصدون بكلمة (عربي) على اختلاف أشكالها بداوة ومشيخة كانت تحكم في أيامهم البادية تمييزاً لها عن قبائل أخرى كانت مستقرة في تخوم البادية[5] .

---

١ تاج العروس (٢ / ٣٥٢) ، « طبعة الكويت » .

٢ Margoliouth, The Relations between Arabs and Israelites Prior to the rise of Islam, P. 3, The Jewish Encyclopedia, New York, 1902, P. 41, Reallexikon der Assyriologie, erster Band, Zweite Lieferung, S., 125, James A. Montgomery, Arabia and the Bible, PP. 27.

٣ Erich Ebling und Bruno Meissner, Reallexikon der Assyriologie, Erster Band, Berlin and leipzig 1922, P. 125.

٤ Ency, Bibli. Vol., I, P. 273, E. Schrader Keilinschriften und Geschichtforschung, PP. 100, Fr. Delityech, wo lag das Paradise?, P. 295, 304, F, Caussin de Perceval, Histoire des Arabes I, P., 4ff.

٥ ENCYCLOPEDIA BIBLICA, by cheyne, vol., I, p. 273.

ووردت في الكتابات البابليـــة جملة « ماتواربي » (Matu A-Ra-bi) ، (Matu Arabaai) ومعنى (ماتو) (متو) أرض ، فيكون المعنى (أرض عربي) ، أي (أرض العرب) ، أو (بلاد العرب) ، أو (العربية) ، أو (بلاد الأعراب) بتعبير أصدق وأصح . اذ قصد بهـــا البادية ، وكانت تحفل بالأعراب[1] . وجاءت في كتابة (بهستون) (بيستون)[2] (Behistun) لدارا الكبير (داريوس)[3] لفظة (ارباية) (عربايا) (Arabaya)[4] وذلك في النص الفارسي المكتوب باللغة (الأخمينية) ، ولفظة (Arpaya) (M Ar Payah) في النص المكتوب بلهجة أهل السوس (Susian) (Susiana) وهي اللهجـــة

---

١ W. Muss Arnolt, assyrisch — english — Deutsches handwort-erbuch, Berlin, 1903, s., 616, Winckler, A.O.F., Band, 2, S., 465, Margoliouth, The relations between Arabs and israelites prior to the rise of islam, London, 1924, p., 3.

٢ (بهستون) و (بسيستون) . « بهستون (بالفتح ثم الكسر) : قرية بيـــن همذان وحلوان ، اسمها ساسباتان ، بينها وبين همـــذان اربع مراحـــل ، وبينها وبين قرميسين ثمانية فراسخ . وجبل بهستون ، عال مرتفع ممتنع ، لا يرتقى الى ذروته ، وطريق الحاج تحته سواء ، ووجهه من اعلاه الى اسفله أملس كانه منحوت ، ومقدار قامات كثيرة من الارض قد نحت وجهه وملس. فزعم بعض الناس أن الاكاسرة اراد ان يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق ليدل به على عزته وسلطانه . وعلى ظهر الجبل بقرب الطريق مكان يشبه الغار وفيه عين ماء جارية ، وهناك صورة دابة كأحسن ما يكون من الصور ، زعموا انها صورة دابة كسرى المسماة شبديز ، وعليها كسرى ، وقد ذكرته مبسوطا في باب الشين » ، البلـــدان (٢ / ٣١٥) ، (طبعـــة وستفلـــد) (٧٦٩/١) (شيـــداز : بـــكسر اولـــه وسكـــون ثانيـــه ثم دال مهملـــة وآخره زاي . ويقال : شيديز بالياء المثناة من تحت .... منزل بين حلوان وقرميسين في لحف جبل بيستون ، سمي باسم فرس كان لكسرى ، وقد وصف ياقـــوت الحموي الموضع ، وذكر آراء الناس فيه والقصص التي كانت تروى عـــن الصور ، البلدان (٥ / ٢٢٨) .

٣ يعرف في الكتب العربية بـــ (دارا) ، كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص (٢٠) ، مـــروج الذهـــب (١٩٦/١ ، ٢٤٥) ، (دارا الكبـــير) (دارا الاكبر) تاريخ الطبري (٦٨٧/١ ، ٧٠٦ ، ٧١٩) طبعة اوروبة .

٤ The Sculptures and Inscription of Darius the great on the Rock of Behistun in persia, London, 1907, p., XIVIII, 161 Ency. Bibl., 273, Hastings, Dictionary of the Bible, p., 46 Hastings : وسيكون رمزه :

العيلامية لغة عيلام[1] .

ومراد البابليين أو الآشوريين أو الفرس من (العربية) أو (بلاد العرب) ، البادية التي في غرب نهر الفرات الممتدة الى تخوم بلاد الشام .

وقد ذكرت (العربية) بعد آشور وبابل وقبل مصر في نص (دارا) المذكور[2]، فحمل ذلك بعض العلماء على ادخال طور سيناء في جملة هذه الأرضين[3] . وقد عاشت قبائل عربية عديدة في منطقة سيناء قبل الميلاد .

وبهـــذا المعنى أي معنى البداوة والأعرابية والجفاف والقفر ، وردت اللفظة في العبرانية وفي لغات سامية أخرى . ويدل ذلك على أن لفظة (عرب) في تلك اللغات المتقاربة هو البداوة وحياة البادية ، أي بمعنى (أعراب) . واذا راجعنا المواضع التي وردت فيها كلمة (عربي) و (عرب) في التوراة ، نجدها بهذا المعنى تماماً . ففي كل المواضع التي وردت فيها في سفر (أشعيـاء) (Isaiah) مثلاً نرى أنها استعملت بمعنى بداوة وأعرابية ، كالذي جاء فيه : (ولا يخيم هناك أعرابي[4]) و(وحي من جهة بلاد العرب ،في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين[5]) . فقصد بلفظـــة (عرب) في هذه الآية الأخيرة البادية موطن العزلة والوحشة والخطر ، ولم يقصد بها قومية وعلمية لمجلس معين بالمعنى المعروف المفهوم .

ولم يقصد بجملة (بلاد العرب) في الآية المذكورة والتي هي ترجمة (مسا

---

١ (السوس بضم اوله وسكون ثانيه وسين مهملة اخرى . بلفظ السوس الـــذي يقع في الصوف : بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال عليه السلام . قال حمزة : السوس تعريب الشوش بنقط الشين ، ومعناه الحسن والنزه والطيب ... قال ابن المقفع : أول سور وضع في الارض بعد الطوفان سور السوس وتستر ولا يدرى من بنى السوس وتستر والأبلة . وقال ابن الكلبي : السوس بن سام بـــن نوح) ، البلدان (٥ / ١٧١ وما بعدها)

٢ Sculp. P., 4, 95, 161.

٣ Ency., Bibl., P., 273, Hastings, P. 46.' Encyclopaedia Biblica, by Cheyne, I, PP., 267, J. Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 131, J. Hastings, A Dictionary of the Bible dealing with its Language Literature and Contents, p., 84.

٤ الاصحاح الثالث عشر ، آية ٢٠ (ولا يضرب اعرابي فيها خباء) ، الترجمـــة الكاثوليكية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠.

٥ الاصحاح الحادي والعشرين ، الآية ١٣ ،
J. Simons, The Georgraphical and Topographical Texts of the Old Testament, Leiden, 1959, P., 4.

هـ ــ عراب) (Massa ha-Arab) ، المعنى المفهوم من (بلاد العرب) في الزمن الحاضر أو في صدر الإسلام ، وإنما المراد بها البادية ، التي بين بلاد الشام والعراق وهي موطن الأعراب[1] .

وبهذا المعنى أيضاً وردت في (أرميا) ، ففي الآية (وكل ملوك العرب) الواردة في الاصحاح الخامس والعشرين[2] ، تعني لفظة « العرب » «الأعرابي» ، أي « عرب البادية » . والمراد من « وكل ملوك العرب » و « كل رؤساء العرب » و « مشايخهم » ، رؤساء قبائل ومشايخ ، لا ملوك مدن وحكومات. وأما الآية : « في الطرقات جلست لهم كأعرابي في البرية »[3] ، فإنها واضحة، وهي من الآيات الواردة في (أرميا) . والمراد بها أعرابي من البادية،لا حضري من أهل الحاضرة . فالمفهوم اذن من لفظة (عرب) في اصحاحات (أرميا) إنما هو البداوة والبادية والأعرابية ليس غير .

ومما يؤيد هذا الرأي ورود (ها عرابة ha 'Arabah) في العبرانية ، ويراد بها ما يقال له : (وادي العربة) ، أي الوادي الممتد من البحر الميت أو من بحر الجليل الى خليج العقبة[4] . وتعني لفظة (عرابة) في العبرانية الجفاف وحافة الصحراء وأرض محروقة ، أي معاني ذات صلة بالبداوة والباديـة . وقد أقامت في هذا الوادي قبائل بدوية شملتها لفظة (عرب) . وفي تقارب لفظة (عرب) و (عرابة) ، وتقارب معناهما ، دلالة عـلى الأصل المشترك للفظتين . ويعدّ وادي (العربة) وكذلك (طورسيناء) في بلاد العرب . وقصد بـ (العربية) برية سورية في (رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية)[5] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٨٨ فما بعدها) ،
A Religios Encylopaedia or Dictionary of Biblical, Historical Doctorinal, and Practical Theology, by, Philip Schaff, 1894, Vol., I, P., 122.

٢ الاية ٢٤ ، The Bible Dictionary, I, P., 98

٣ الاصحاح الثالث ، الاية الثانية .

٤ Ency. Bibli., I, P., 271.

٥ « مكتوب انه كان لابراهيم ابنان : احدهما من الامة ، والآخر من الحرة . غير أن الذي من الامة ولد بقوة الجسد ، اما الذي من الحرة فبقوة الموعد . وذلك انما هو رمز ، لان هاتين هما الوصيتان احداهما من طورسيناء تلد للعبودية ، فهي هاجر ، فان سيناء هو جبل في ديار العرب ، ويناسب أورشليم الحالية ، لان هذه حاصلة في العبودية مع بنيها) ، رسالة القديس بولس الـى أهـل غلاطية) ، الرسالة الرابعة ، ٢٢ فما بعدها، قاموس الكتاب المقدس (٢/٨٩).

وقد عرف علماء العربية هذه الصلة بين كلمة (عرب) و (عرابة) أو (عربة) ، فقالوا : (إنهم سمّوا عرباً باسم بلدهم العربات . وقال إسحاق بن الفرج : عربة باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام)[1] . وقالوا : (وأقامت قريش بعربة فتنخت بها ، وانتشر سائر العرب في جزيرتها ، فنسبوا كلهم الى عربة ، لأن أباهم اسماعيل ، صلى الله عليه وسلم، نشأ وربى أولاده فيها فكثروا . فلما لم تحتملهم البلاد،انتشروا ، وأقامت قريش بها[2] . وقد ذهب بعضهم الى أن عربة من تهامة[3] ، وهذا لا ينفي على كل حال وجود الصلة بين الكلمتين .

ورواية هؤلاء العلماء ، مأخوذة من التوارة ، أخذوها من أهل الكتاب ، ولا سيما من اليهود،وذلك باتصال المسلمين بهم ، واستفسارهم منهم عن أمور عديدة وردت في التوراة ، ولا سيما في الأمور التي وردت مجملاً في القرآن الكريم والأمور التي تخص تأريخ العرب وصلاتهم بأهل الكتاب .

ويرى بعض علماء التوراة أن كلمة (عرب) إنما شاعت وانتشرت عند العبرانيين بعد ضعف (الاشماعيليين) (الاسماعيليين) وتدهورهم وتغلب الأعراب عليهم حتى صارت اللفظة مرادفة عندهم لكلمة (اشماعيليين) . ثم تغلبت عليهم ، فصارت تشملهم ، مع أن (الاشماعيليين) كانوا أعراباً كذلك ، أي قبائل بدوية تتنقل من مكان الى مكان ، طلباً للمرعى وللماء . وكانت تسكن أيضاً في المناطق التي سكنها الأعراب ، أي أهل البادية. ويرى أولئك العلماء ان كلمة (عرب) لفظة متأخرة ، اقتبسها العبرانيون من الآشوريين والبابليين ، بدليل ورودها في النصوص الآشورية والبابلية ، وهي نصوص يعود عهدها الى ما قبل التوراة . ولشيوعها بعد لفظة (اشماعيليين) ، ولأدائها المعنى ذاته المراد من اللفظة ، ربط بينها وبين لفظة (اشماعيليين) ، وصارت نسباً ، فصُير جد هؤلاء العرب (اشماعيل) ، وعدّوا من أبناء إسماعيل[4] .

---

١ اللسان (٢ / ٧٢) ، القاموس المحيط (١ / ١٠٢) .
٢ اللسان (٢/٧٢) ، تاج العروس (٣/٣٤٤) ، « طبعة الكويت » .
٣ اللسان (٢/٧٦) ، تاج العروس (٣/٣٤٤) ، « الكويت » .
٤ راجع الالفاظ : (عرب) و (يشماعيل) في معجمات التوراة .

هذا ما يخص التوراة ، أما (التلمود) ، فقد قصدت بلفظة (عرب) و (عربيم) (Arbim') (عربثيم) (Arbi'im') الأعراب كذلك ، أي المعنى نفسه الذي ورد في الأسفار القديمة ، وجعلت لفظة (عربي) مرادفة لكلمة (اسماعيلي) في بعض المواضع[1] .

وقبل أن أنتقل من البحث في مدلول لفظة (عرب) عند العبرانيين الى البحث في مدلولها عند اليونان ، أود أن أشير الى أن العبرانيين كانوا اذا تحدثوا عن أهل المدر ، أي الحضر ذكروهم بأسمائهم . وفي سلاسل النسب الواردة في التوراة ، أمثلة كثيرة لهذا النوع ، سوف أتحدث عنها .

وأول من ذكر العرب من اليونان هو (أسكيلوس ، أسخيلوس) « أشيلس » « أخيلوس » (Aeschylus) ، (٥٢٥ – ٤٥٦ قبل الميلاد) من أهل الأخبار منهم ، ذكرهم في كلامه على جيش (أحشويرش) (Xerxes) ، وقال : انه كان في جيشه ضابط عربي من الرؤساء مشهور[2] . ثم تلاه (هيرودوتس) شيخ المؤرخين (نحو ٤٨٤ – ٤٢٥ قبل الميلاد) ، فتحدث في مواضيع من تأريخه عن العرب حديثاً يظهر منه انه كان على شيء من العلم بهم . وقد أطلق لفظة (Arabae) على بلاد العرب ، البادية وجزيرة العرب والأرضين الواقعة الى الشرق من نهر النيل[3] . فأدخل (طور سيناء) وما بعدها الى ضفاف النيل في بلاد العرب .

فلفظة (العربية) (Arabae) عند اليونان والرومان ، هي في معنى (بلاد العرب) . وقد شملت جزيرة العرب وبادية الشام. وسكانها هم عرب على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ، على سبيل التغليب ، لاعتقادهم ان البداوة كانت هي الغالبة على هذه الأرضين ، فأطلقوها من ثم على الأرضين المذكورة .

وتدل المعلومات الواردة في كتب اليونان واللاتين المؤلفة بعد (هيرودوتس) على تحسن وتقدم في معارفهم عن بلاد العرب ، وعلى أن حدودها قد توسعت في مداركهم فشملت البادية وجزيرة العرب وطور سيناء في أغلب الأحيان، فصارت لفظة (Arabae) عندهم علماً على الأرضين المأهولة بالعرب والتي تتغلب عليها

---

١ موعيد قطان ١٢٤

٢ Ency. Bibli., I, P., 273.

٣ Ency. Bibli., I, P., 271.

الطبيعة الصحراوية ، وصارت كلمة (عربي) عندهم علماً للشخص المقيم في تلك الأرضين ، من بدو ومن حضر ، إلاّ أن فكرتهم عن حضر بلاد العرب لم تكن ترتفع عن فكرتهم عن البدوي ، بمعنى انهم كانوا يتصورون أن العرب هم أعراب .

ووردت في جغرافية (سترابون) كلمة (أرمبي) (Erembi) ، ومعناها اللغوي الدخول في الأرض أو السكنى في حفر الأرض وكهوفها ، وقد أشار الى غموض هذه الكلمة وما يقصد بها ، أيقصد بها أهل (طرغلوديته) (Troglodytea) أي (سكان الكهوف) أم العرب ؟ ولكنه ذكر أن هناك من كان يريد بها العرب ، وانها كانت تعني هذا المعنى عند بعضهم في الأيام المتقدمة ، ومن الجائز أن تكون تحريفاً لكلمة (Arabi) فأصبحت بهذا الشكل[1].

أما الإرميون ، فلم يختلفوا عن الأشوريين والبابليين في مفهوم (بلاد العرب)، أي ما يسمى بـ (بادية الشام) وبادية السماوة . وهي البادية الواسعة الممتدة من نهر الفرات الى تخوم الشام . وقد أطلقوا على القسم الشرقي من هذه البادية ، وهو القسم الخاضع لنفوذ الفرس ، اسم (بيت عربايا) (Beth 'Arb'aya) و (باعربايا) (Ba 'Arabaya) ،ومعناها (أرض العرب) . وقد استعملت هذه التسمية في المؤلفات اليونانية المتأخرة[2] . وفي هذا الاستعمال أيضاً معنى الأعرابية والسكنى في البادية .

ووردت لفظة « عرب » في عدد من كتابات « الحضر » . وردت مثلاً في النص الذي وسم بـ « ٧٩ » حيث جاء في السطرين التاسع والعاشر « وبجندا دعرب » ، أي « وبجنود العرب » . وفي السطر الرابع عشر : « وبحطر وعرب » ، أي « وبالحضر وبالعرب »[3] . ووردت في النص : « ١٩٣ » : « ملكادي عرب » ، أي « ملك العرب » وفي النص « ١٩٤ » وفي نصوص أخرى[4] . وقد وردت اللفظة في كل هذه النصوص بمعنى « أعراب » ، ولم ترد علماً على قوم وجنس ، أي بالمعنى المفهوم من اللفظة في الوقت الحاضر[5] .

١ Strabo, Vol., 3, P., 215.

٢ Ency. Bibli., Vol., I, P., 273, Hastings, P., 46, Schrader, Keilinschr. und Gesch. S., 100, Delitzsch, Wo lag das Paradies? S., 295.

وسيكون رمزه Delitmych

٣ مجلة سومر ، السنة ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 243. ff.

٤ سومر ، ١٩٦١ ، Die Araber, IV, S., 261.

٥ Die Araber, IV, S., 269.

هذا ، وليست لدينا كتابات جاهلية من النوع الـذي يقول له المستشرقون (كتابات عربية شمالية) ، فيها اسم (العرب) ، غير نص واحد، هو النص الذي يعود الى (امرىء القيس بن عمرو) . وقد ورد فيه : « مر القيس بر عمرو ، ملك العرب كله ، ذو اسرالتج وملك الأسدين ونزروا وملوكهم وهرب مذحجو ... »[1] . ولورد لفظة (العرب) في هذا النص الذي يعود عهده الى سنة "(٣٢٨ م) شأن كبير « غير اننا لا نستطيع ان نقول : ان لفظة (العرب) هنا ، يراد بها العرب بدواً وحضراً ، أي يراد بها العلم على قومية ، بل يظهر من النص بوضوح وجلاء انه قصد (الأعراب) ، أي القبائل التي كانت تقطن البادية في تلك الأيام .

أما النصوص العربية الجنوبية ، فقد وردت فيها لفظة (اعرب) بمعنى (أعراب) ، ولم يقصد بها قومية ، أي علم لهذا الجنس المعروف،الذي يشمل كل سكان بلاد العرب من بدو ومن حضر ، فورد : (واعرب ملك حضرموت) ، أي (وأعراب ملك حضرموت)[2] ، وورد : (واعـرب ملك سبا) ، أي (وأعراب ملك سبأ)[3] . وكالذي ورد في نص (أبرهة) ، نائب ملك الحبشة على اليمن[4] . ففي كل هذه المواضع ومواضع أخرى ، وردت بمعنى أعراب[5] . أما أهل المدن والمتحضرون ، فكانوا يعرفون بمدنهم أو بقبائلهم،وكانت مستقرة في الغالب . ولهذا قيل (سبأ) و (همْدان) و (حِمْيَرْ) وقبائل أخرى ، بمعنى انها قبائل مستقرة متحضرة ، تمتاز عن القبائل المتنقلة المسماة (اعرب) في النصوص العربية الجنوبية ، مما يدل على أن لفظة (عرب) و (العرب) لم

---

١ Ephemeris, 2-34, Nabia, P., 4, Plate, 2, Dussaud, in rev. Archeologique, II, (1902), 409, ff., Arabes en Syrie avant L'Islam, P., 34, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 28.

وسيكون رمزه Montgomery .

٢ لما كان المسند لا يعرف الحركات ، صعب علينا قراءة الكلمات قراءة صحيحة فتجوز قراءة كلمة « اعرب » مثلا : (اعرب) وتجوز قراءتها (اعراب) .

٣ نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، بقلم الدكتور خليل يحي نامي (ص ٩٢) ، النقش ٧١ سطر ٢ ، وسأشير اليه بـ : نشر ، (ص ٩٣) نص رقم ٧٢ ، و ٧٣ .

٤ Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S., 33, Ency, Bibli., I, P., 275, Cis, 541 Glasser, 618.

٥ Albert Jamme, Sabaean Inscriptions from Mahram Biqis Baltimore, 1962, P., 445

تكن تؤدي معنى الجنس والقومية وذلك في الكتابات العربية الجنوبية المدونة والواصلة الينا الى قبيل الإسلام بقليل (٤٤٩ م) (٥٤٢ م)[١] . والرأي عندي ان العرب الجنوبيين لم يفهموا هذا المعنى من اللفظة الا بعد دخولهم في الإسلام ، ووقوفهم على القرآن الكريم ، وتكلمهم باللغة التي نزل بها ، وذلك بفضل الإسلام بالطبع. وقد وردت لفظة (عرب) في النصوص علماً لأشخاص[٢] .

وقد عرف البدو ، أي سكان البادية ، بالأعراب في عربية القرآن الكريم . وقد ذكروا في مواضع من كتاب الله ، وقد نعتوا فيه بنعوت سيئة[٣] ، تدل على أثر خلق البادية فيهم . وقد ذكر بعض العلماء ان الأعراب بادية العرب ، وانهم سكان البادية[٤] .

والنص الوحيد الوحيد الذي وردت فيه لفظة (العرب) علماً على العرب جميعاً من حضر وأعراب ، ونعت فيه لسانهم باللسان العربي ، هو القرآن الكريم . وقد ذهب (د . هـ . ملر) الى أن القرآن الكريم هو الذي خصص الكلمة وجعلها علماً لقومية تشمل كل العرب . وهو يشك في صحة ورود كلمة (عرب) علماً لقومية في الشعر الجاهلي، كالذي ورد في شعر لامرىء القيس ، وفي الأخبار المدونة في كتب الأدب على ألسنة بعض الجاهليين[٥] . ورأي (ملر) هذا ، رأي ضعيف لا يستند الى دليل ، اذ كيف تعقل مخاطبة القرآن قوماً بهذا المعنى لو لم يكن لهم علم سابق به ؟ وفي الآيات دلالة واضحة على أن القوم كان لهم إدراك لهذا المعنى قبل الاسلام ، وانهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربي ، وانهم كانوا يقولون للألسنة الأخرى ألسنة أعجمية : (أأعجمي وعربي ؟ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء)[٦] . (وكذلك أنزلناه حكماً

---

١ Margoliouth, The Relations, P., 2, Glaser, 554, 2, MVAG., VI, 7, CIH. 79. 9. CIH, 343, 397, 7. CIH, IV, Pars Himyaritica, Nos, 79, 343, 397 Montgomery. P. 27.

٢ نشر (ص ٨٩) نص ٦٩ ،
Ansaldi, Cesare il Yemen, Nella Storia e nella Legenda,. Roma, 1933, Nr., 17, 69, Ryckmans, in Le Muséon, Vol., I, Part., 3, (1937), Nr. 180.

٣ التوبة ، الآية ٩٧ ، ١٠١ ، الفتح ، الاية ١١ ، الحجرات ، الاية ١٤ .

٤ بلوغ الارب (١٣/١) ، تاج العروس (٣٣٣/٣ فما بعدها) .

٥ D.H. Muller, in Neue Freie Presse, (1894), 20th April, Ency. Bibli., I, P., 274. (قرى عربيات) ، الاغاني (٩ / ١٩) ، (١٠ / ١٤٩) .

٦ سورة فصلت رقم ٤١ ، الآية ٤٤ .

عربياً)[1] . (وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا)[2] . (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين)[3] . ففي هذه الآيات وآيات أخرى غيرها دلالة على أن الجاهليين كانوا يطلقون على لسانهم لساناً عربياً ، وفي ذلك دليل على وجود الحس بالقومية قبيل الإسلام[4] .

ونحن لا نزال نميز الأعراب عن الحضر ، ونعتدهم طبقة خاصة تختلف عن الحضر ، فنطلق عليهم لفظة : (عرب) في معنى بدو وأعراب ، أي بالمعنى الأصلي القديم ، ونرى ان عشيرة (الرولة) وعشائر أخرى تقسم سكان الجزيرة الى قسمين : حضر و (عرب) . وتقصد بالعرب أصحاب الخيام أي المتنقلين. وتقسم العرب ، أي البدو الى (عرب القبيلة) ، و (عرب الديرة) ، وهم العرب المقيمون على حافات البوادي والأرياف ، أي في معنى (عرب الضاحية) و (عرب الضواحي) في اصطلاح القدامى .

ثم تقسم الحضر وتسميهم أيضاً بـ (أهل الطين) الى (قارين) ، والواحد (قروني) ،وهم المستقرون الذين لهم أماكن ثابتة ينزلونها أبداً ، والى (راعية) والمفرد راع ، وهم أصحاب أغنام وشبه حضر ، ويقال لهم (شوّاية) و (شيّان) و (شاوية) و (رحم الديرة) بحسب لغات القبائل[5] .

وأشبه مصطلح من المصطلحات القديمة بمصطلح (شوّاية) و « شاوية » ، هو (الأرحاء) ، وهي القبائل التي لا تنتجع ولا تبرح مكانها ، إلا ان ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجدب[6] .

وخلاصة ما تقدم ان لفظة (ع ر ب) ، (عرب) ، هي بمعنى التبدي والأعرابية في كل اللغات السامية ، ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في أقدم

---

١ سورة الرعد رقم ١٣ ، الاية ٣٧
٢ سورة الاحقاف ، رقم ٤٦ الاية ١٢
٣ النحل ، السورة رقم ١٦ ، الاية ١٠٣
٤ سورة يوسف الاية ٢ ، سورة طه الاية ١١٣ ، سورة الزمر ، الاية ٢٨ ، سورة الشورى ، الاية ٧ ، سورة الزخرف ، الاية ٣ .
٥ B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 398. « شاوية » .
٦ العقد الفريد (٣ / ٣٣٥) .

النصوص التاريخية التي وصلت الينا ، وهي النصوص الآشورية . وقد عنت بها البدو عامة ، مهما كان سيدهم أو رئيسهم . وبهذا المعنى استعملت عند غيرهم. ولما توسعت مدارك الأعاجم وزاد اتصالهم واحتكاكهم بالعرب وبجزيرة العرب ، توسعوا في استعمال اللفظة ، حتى صارت تشمل أكثر العرب على اعتبار انهم أهل بادية وان حياتهم حياة أعراب . ومن هنا غلبت عليهم وعلى بلادهم ، فصارت علَمية عند اولئك الأعاجم على بلاد العرب وعلى سكانهـا ، وأطلق لذلك كتبة اللاتين واليونان على بلاد العرب لفظة (Arabae) (Arabia) أي (العربية) بمعنى بلاد العرب .

لقد أوقعنا هذا الاستعمال في جهل بأحوال كثير من الشعوب والقبائل،ذكرت بأسمائها دون أن يشار الى جنسها . فحرنا في أمرها ، ولم نتمكن من ادخالها في جملة العرب ، لأن الموارد التي نملكها اليوم لم تنص على أصلها . فلم تكن من عادتها ، ولم يكن في مصطلح ذلك اليوم كما قلت اطلاق لفظة (عرب) إلا على الأعراب عامة ، وذلك عند جهل اسم القبيلة ، وكانت تلك القبيلة بادية غير مستقرة،وقد رأينا ان العرب أنفسهم لم يكونوا يسمون أنفسهم قبل الميلاد ، إلا بأسمائهم ، ولولا وجودهم في جزيرة العرب ولولا عثورنا على كتابات أو موارد أشارت اليهم ، لكـان حالهـم حال من ذكرنا ، أي لمـا تمكنّا من ادخالهم في العرب . ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً تجـاه القبائل المذكورة ، وليس لنا إلا الانتظار ، فلعل الزمن يبعث نصاً يكشف عن حقيقة بعض تلك القبائل .

هذا ويلاحظ أن عدداً من القبائـل العربيـة الضاربة في الشمال والساكنة في العراق وفي بلاد الشام ، تأثرت بلغة بني إرم ، فكتبت بها ، كما فعل غيرهم من الناس الساكنين في هذه الأرضين ، مع انهم لم يكونوا من بني إرم . ولهذا حسبوا على بني إرم ، مع أن أصلهم من جنس آخر . وفي ضمن هؤلاء قبائل عربية عديدة ، ضاع أصلها ، لأنهـا تثقفت بثقافة بني إرم ، فظن لذلك انها منهم .

الآن وقد انتهيت من تحديد معنى (عرب) وتطورها الى قبيـل الإسلام ، أرى لزاماً عليّ أن أتحدث عن ألفاظ أخرى استعملت بمعنى (عرب) في عهد من العهود ، وعند بعض الشعوب . فقد استعمل اليونان كلمـة (Saraceni)

و (Saracenes) ، واستعملها اللاتين على هـذه الصورة (Saracenus) ، وذلك في معنى (العرب)[1] وأطلقوها على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشأم[2] وفي طور سيناء[3] ، وفي الصحراء المتصلة بأدوم[4] . وقد توسع مدلولها بعد الميلاد ، ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس ، فأطلقت على العرب عامة ، حتى أن كتبة الكنيسة ومؤرخي هذا العصر قلما استعملوا كلمة (عرب) في كتبهم ، مستعيضين عنها بكلمة (Saraceni)[5] . وأقدم من ذكرها هو (ديوسقوريدس (Dioscurides of Anazarbos) الذي عاش في القرن الأول للميلاد[6] . وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب ، وأحياناً على جميع المسلمين[7] . ونجد الناس يستعملونها في الانكليزية في موضع (عرب) ومسلمين حتى اليوم .

وقد أطلق بعض المؤرخين من أمثال « يوسبيوس » « أويسبيوس » (Eusebius) و (هيرونيموس) (Hieronymus) هذه اللفظة على (الاشماعيليين) الذين كانوا يعيشون في البراري في (قادش) في برية (فاران) ، أو مدين حيث جبل (حوريب)[8] . وقد عرفت أيضاً بـ (الهاجريين) (Hagerene) ثم دعيت بـ (Saracenes)[9] .

ولم يتحدث أحد من الكتبة اليونان والرومان والسريان عن أصل لفظة (Saraceni) (Sarakenoi) . ولم يلتفت العلماء الى البحث في أصل التسمية إلا بعد النهضة العلمية الأخيرة ، ولذلك اختلفت آراؤهم في التعليل ، فزعم بعضهم انه مركب من (سارة) زوج ابراهيم ، ولفظ آخر ربما هو (قين) ،

---

١ Forster, Vol., 2, P., 9, Webester's New International Dictionary of English Language, Vol., 2, P., 2216, Ency. Brita., Vol., 19, P. 987

٢ Ency. Brita., Vol., 19, P., 987

٣ Forster, Band, 2, S., 9, Ptolemy, 5, 16, Ency. of Islam, Vol., 4, P. 155.

٤ Forster, Vol., P. 20. f.

٥ Ency. of Islam, Vol., 4, P., 156.

وسيكون الرمز : Ency

٦ Ency., Vol., 4, P., 155, Bretzl, Botanische Forschungen des Alx Alexanderzuges, S., 282.

٧ Ency. Vol, 4 P., 155.

٨ قاموس الكتاب المقدس (١ / ٣٩٥) .

٩ Ency., Vol., 4, P., 156, Eusebius, (ed. Schoene), II, 13, Chron. Pasch., 94. 18.

فيكون المعنى (عبيد سارة)[1] . وقال آخـرون : انه مشتق من (سرق) ، فيكون المواد من كلمة (Saraceni) (سراكين) (السراقين) أو (السارقين) اشارة الى غزوهم وكثرة سطوهم[2] . أو من (Saraka) بمعنى (Sherk) أي (شرق)[3] ، ويراد بذلك الأرض التي تقع الى شرق النبط . وقال (ونكلر) انه من لفظة (شرقو) ، وتعني (سكان الصحراء) أو (أولاد الصحراء) . استنتج رأيه هذا من ورود اللفظة في نص من ايام (سرجون)[4] . ويرى آخرون انه تصحيف (شرقيين) ، أو (شارق)[5] على نحو ما يفهم من كلمة (قدموني) (Qadmoni) في التوراة ، بمعنى شرقي ، أو أبناء الشرق (Bene Kedem) (Bene Qedhem)[6] . وكانت تطلق خاصة على القبائـل التي رجع النسابون العبرانيون نسبها الى (قطورة)[7] .

وقد مال الى هذا الرأي الأخير اكثر من بحث في هذه التسمية من المستشرقين ، فعندهم ان (سرسين) أو (سركين) أو (Sarakenoi) من (شرق) ، وان (Bene Kedem) و (Qadmoni) العبرانيتـين همـا ترجمتان للفظـة (Saraceni)[8] . ولهذا يرجحون هذا الرأي ويأخذون به .

---

١ الهلال السنة السادسة ، الجزء (١٥ دسمبر) ١٨٩٧ ، ص ٢٩٦ ، المشرق : السنة السابعة ، الجزء ٧ ، ص ٣٤٠ ، حيث راى (الاب انستاس مـاري الكرملي) ان Sarrasins من (سرحة) ، وهو مخلاف باليمـن . وعلى هذا فهم (السرحيون) . (وسمعتهم يقولون : سراكنـو ، سراكنـو ، ومعناه المسلمون) ، رحلة ابن بطوطة (٢ / ٤٤١) (طبعة اوربة) ، تحفـة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار : تهذيب رحلة ابن بطوطة ، بقلـم احمد العوامري بك ومحمد احمد جاد المولى بك ، (بولاق ١٩٣٤) ، (١ / ٢٨٨) ، (قل لهذا السركنو يعني المسلـم) (ص ٢٩٣) ، (وكانت الـروم تسمي العرب سارقيوس ، يعني ذوي سارة ، بسبب هاجر أم اسماعيل) ، ابـن الاثير : الكامل (١ / ١١٧) .

٢ الهلال : السنة ٦ (ج ٨) (١٨٩٧) ص ٢٩٦ .

٣ Musil, Arabia Deserta, P., 311, Stephen of Byzantium, Ethnica, P., 556, (Meineke),

٤ Ency., Vol., 4, P., 156, Winckler, Altorient. Forschungen, II, Ser., I, 77f.

٥ الهلال : الجزء المذكور ، ص ٢٩٦ ، مجلة لغة العرب ، الجـزء ٤ السنـة ٧ (١٩٢٩) ص ٢٩٣ ، Ency., Vol., 4, P., 156

٦ التكوين : الاصحاح الخامس عشر ، الاية ١٩ .

٧ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٢٠٦) Hastings, P., 512,

٨ التكوين ٢٥ ، الاية ١ ــ ٦ Hastings, P., 512,

٩ Musil, Deserta, P., 494.

والقائلون ان (سارقين) من أصل لفظتين (سارة) ، زوج ابراهيم، ومن (قين) بمعنى (عبد) وان المعنى هو (عبيد سارة) ، متأثرون برواية التوراة عن سارة وبالشروح الواردة عنها[1] . وليست لأصحاب هذا الرأي أيـة ادلة أخرى غير هذا التشابه اللفظي الذي نلاحظه بين (سرسين) وبين (سارقين)، وهو من قبيل المصادفة والتلاعب بالألفاظ ولا شك ، وغير هذه القصة الواردة في التوراة : قصة (سارة) التي لا علاقة لها بالسرسين .

هذا وما زال أهل العراق يطلقون لفظة (شروك) و (شروكية) عـلى جماعة من العرب هم من سكان (لواء العمارة) والأهوار في الغالب ، وينظرون اليهم نظرة خاصة ، ولا شك عندي ان لهذه التسمية علاقة بتلك التسمية القديمة.

ويستعمل اهل العراق في الوقت الحاضر لفظة اخرى ، هي (الشرجية) ، أي (الشرقية) ، ويقصدون بها جهة المشرق . وتقابل لفظة (بني قديم) في العبرانية،وهي من بقايا المصطلحات العراقية القديمة التي تعبر عن مصطلح(شركوني) و (بني قديم) .

هذا وقد عرف العرب ان الـروم يسمونهم (ساراقينوس) ، فقد ذكـر (المسعودي) ان الروم الى هذا الوقت (أي الى وقته) تسمي العرب(ساراقينوس). وذكر خبراً طريفاً عن ملك الروم (نقفور) المعاصر لـ (هارون الرشيد) . فقد زعم انه (أنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس . تفسير ذلك عبيد ساره ، طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل ، وانها كانت امةً لسارة ، وقال: تسميتهم عبيد سارة ، كذب[2] .

وقد كانت منـازل (القدمونيين) ، (هقدمـني) ، (هاقدمونـي) (Kadmonites) ، في المناطق الشرقية لفلسطين ، أي في بادية الشام . ولمـا كان (قيدما) (Kedemeh) هو أحد أبناء اسماعيل في اصطلاح (التوراة)، فيكون أبناء (قيدما) من العرب الاسماعيليين[3] . وقد ذكر في موضع من التوراة انهم كانوا يقطنون المناطق الشرقية لفلسطين قرب (البحر الميت) المعروف في

---

١ لغة العرب ج ٤ ، من السـة ٧ ، ص ٢٩٤ .

٢ التنبيه (ص ١٤٣) (طبعة عبد الله اسماعيل الصاوي) .

٣ Hastings, P., 512, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P., 633.

العبرانية بـ (هايم هقدموني) ، أي (البحر القدموني) (البحر الشرقي)[1] .

وقد كان (القدمونيون) ، أي (بنو قديم) أعراباً يقطنون في بادية الشام. وأشباه أعراب ، أي رعاة وأشباه حضريين ، واللفظة لا تعني قبيلة واحدة معينة، أي علمية ، ولا تعني قبائل معينة ، وإنما هي لفظة عامة أطلقت على الساكنين في الأماكن الشرقية بالنسبة الى العبرانيين[2] .

ونجد في الكتب اليونانية لفظة لها علاقة بطائفة من العرب، هي (Skenitae) (Scenitae) ، وقد أطلقت خاصة على أعراب بادية الشام . وقصد بها الأعراب سكان الخيام ، أي (أهل الوبر) في اصطلاح العرب . وقد ذهب بعض العلماء الى أنها من (الخيمة) التي هي منزل الأعرابي ، لأن الخيمة هي (Skene) (Skynai) في اليونانية . فالمعنى إذن (سكان الخيام)[3] .

وقد ذكر (سترابون) ان الـ (Scenitae) كانوا نازلين على حدود (سورية) الشرقية ، كما ذكر ان منهم من كان ينزل شمال (العربية السعيدة) وهم سكان خيام[4] . وقد فرّق (سترابون) بينهم وبين البدو تفريقاً ظاهراً ، وميزهم عن غيرهم من الأعراب بسكناهم في الخيام . وقال عنهم في موضع آخر : انهم يمثلون بصورة عامة (بدو) العراق[5] . وانهم يعتنون بتربية الإبل. وقد ذكرهم أيضاً في اثناء كلامه على ساحل (Maranitae) فقال : انه مأهول بالفلاحين وبالـ (Scenitae) وأراد بهم الأعراب الذين لا يسكنون إلا الخيام ويعيشون على تربية الإبل ، وقد ذكر انهم كانوا قبائل ومشيخات[6] .

وقد ذكرهم (بلينيوس) كذلك ، فدعاهم بـ (Scenitae)[7] . وقد كانوا يقيمون في البادية . وقد حاربهم (سبتيموس سفيروس) ، وسأتحدث

---

١ حزقيال ، الاصحاح ٤٤ ، الاية ١٨ Hastings, A Dictionary, I, P., 8311,

٢ J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament, P., 13.

٣ Webester's New International Dictionary of the Englisch Language, Vol, 2, P. 2233, Strabo, XVI, 2 : 2, Vol., I, P., 63, 196, 441, Vol., 2. P. 219. 252. Vol. 3. P. 160. 166, ,185, 190, 204, (Hamilton).

٤ Strabo, Vol., I, P., 196, 441.

٥ Musil, Palmyrena, p., 209, Strabo, Vol., 3, P., 166, 190. 204.

٦ راجع المواضع المشار اليها من جغرافية (سترابون) ، Dio., P., 254, A Cyclopaedia of Biblical Literature, by, John Kitto, I, P., 184.

٧ Pliny, 6, 143, Der Araber, 1, 178.

عن ذلك فيما بعد ، كما أشار غـيره اليهم . والظاهـر ان لفظة (Nomas) (Nomadas) التي تعني (البدو) لا تؤدي معنى (Scenitae) أي سكان الخيام. اذ فرّق الكتبة اليونان في مؤلفاتهم بين اللفظتين . وأغلب ظني ان المراد بسكان الخيام الأعراب المستقرون بعض الاستقرار ، أي الذين عاشوا في مضارب عيشة شبه مستقرة ، لهم خيامهم وإبلهم وحيواناتهم على مقربة من الريف والحضارة . أما الـ (نومادس) (Nomades) (Nomadas) فقد كانوا قبائل رحـلا يعيشون في البوادي لا يستقرون في مكان واحد ، متى وجدوا فرصة اغتنموها فأغاروا على من يجدونهم أمامهم ، للعيش على ما يقع في أيديهم . ولذلك كانت ظروف ضعف الحكومات أو انشغالها بالحروب من أحسن الفرص المناسبة لهم . ومن هنا فرّق الكتبة اليونان وغيرهم بين الجماعتين[1] .

إننا لا نستطيع أن نحدد الزمان الذي ظهر فيه مصطلح (سكينيته) بين اليونان واللاتين . وقد يكون ترجمة للفظة أخذوها من الفرس أو الآشوريين أو غيرهم من الشعوب . ومصطلح (أهل الوبر) ، هـو مصطلح يقابل جملة (سكان الخيام) في نظري . أما مصطلح (أهل بادية) أو (أعراب بادية) أو (سكان البوادي) ، فانه تعبير يقابل (Nomadas) عند اليونان .

وعرف العرب عند الفرس وعند بني إرم بتسمية أخرى ، هي: (Tayayo) و (Taiy) . أما علماء عهـد التلمود من العبرانيين ، فأطلقوا عليهم لفظـة (ط ي ي ع ا) (طيعا) و (طيايا) (طياية)[2] وأصل الكلمتين واحد على ما يظهر ، أخذ من لفظة (طيء) اسم القبيلة العربية الشهيرة على رأي أكثر العلماء[3]. وكانت تنزل في البادية في الأرضين المتاخمة لحدود امبراطوريـة الفرس ، وكانت من أقوى القبائل العربية في تلك الأيام ، ولهذا صار اسمها مرادفاً للفظة (العرب) (عرب) . وقـد ذكر (برديصـان) اسم (Tayaye) (Tayoye) مع (Sarakoye)[4] .

---

١ Der Araber, I, S., 178.

٢ The Uni. Jew. Ency., Vol., 2, P., 43, Margoliouth, P., 57, Ency, Vol. 4. p. 598.

٣ Ency., Vol., 4, P., 598,

٤ Ency., Vol., 4, P., 598, Cureton, Spicil. Syr., P., 16, Noldeke, in ZDMG. IXIX. 713, Margoliouth, The Relations, P., 57, Kraus, in ZDMG, IXX, 321, foll.

وقد شاعت هذه التسمية قرب الميلاد ، وانتشرت في القرون الأولى للميلاد ، كما يتبين ذلك من الموارد السريانية والموارد اليهودية [١] .

واستعملت النصوص (الفهلوية) (Pahlawi) لفظة (تاجك) (Tadgik) (Tachik) (Tashik) في مقابل (عرب) ، كما استعملت الفارسية لفظة (تازي) بهذا المعنى أيضاً . واستعمل الأرمن كلمة (تجك) (Tachik) في معنى عرب ومسلمين ، واستعمل الصينيون لفظة (تشي) (Tashi) لهذه التسمية . وقد عرف سكان آسية الوسطى الذين دخلوا في الإسلام بهذه التسمية ، كما أطلق الأتراك على الايرانيين لفظة (تجك) ، من تلك التسمية ، حتى صارت لفظة (تجك) تعني (الإيراني) في اللغة التركية [٢] .

ويرى بعض العلماء ان (تاجك) و (تجك) و (تازك) ، هي من الأصل المتقدم . من أصل لفظة (طيء)[٣] . ولكلمة (تازي) في الفارسية معنى (صحراوي) ، من (تاز) (Taz) ، بمعنى الأرض المقفرة الخالية، ولذلك نسب بعض الباحثين كلمة (تازي) الى هذا المعنى ، فقالوا انها أطلقت على العرب لما اشتهر عنهم أنهم صحراويون[٤] .

وقد زعم (حمزة الأصفهاني) ان الفرس أطلقوا على العرب لفظة(تاجيان) ، نسبة الى (تاج بن فروان بن سيامك بن مشى بن كيومرث) ، وهو جد العرب[٥] .

وبعض هذه التسميات المذكورة ، لا يزال حياً مستعملاً ، ولكنه لم يبلغ مبلغ لفظة (عرب) و (العرب) في الشهرة والانتشار . فقد صارت لفظة (عرب) ، علماً على قومية وجنس معلوم ، له موطن معلوم ، وله لسان

---

١ O'Leary, Arabia, P., 18, J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S., 233. f.

٢ Ency., Vol., 4, P., 598.

٣ Ency., Vol., 4, P., 598.

٤ الرسالة : الجزء ٦٥٤ ، السنة ١٩٤٦ ، تعليق بقلم (ح. م. ع) من النجف على كلمة « تاجك » ، وكنت قد كتبت فيها في مجلة الرسالة المصرية قبل هذا الجزء .

٥ حمزة (٢٤) .

خاص به يميزه عن سائر الألسنة،من بعد الميلاد حتى اليوم . وقد وسع الاسلام رقعة بلاد العرب ، كما وسع مجال اللغة العربية ، حتى صارت بفضله لغة عالمية خالدة ذات رسالة كبيرة ، غمرت بفضل الاسلام بعض اللغات مثـل الفارسية والتركية والأردية ولغات اخرى، فزودتها بمادة غزيرة من الألفاظ ، دخلت فيها حتى صارت جزءاً من تلك اللغات ، يظن الجاهل انها منها لاستعماله لها ، ولكنها في الواقع من أصل عربي .

وربّ سائل يقول:لقد كان للعرب قبل الإسلام لغات ، مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها ، اختلفت عن عربية القرآن الكريم اختلافاً كبيراً ، حتى إن أحدنا إذا قرأ نصاً مدوناً بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه ، وظن إذا لم يكن له علم بلغات العرب الجاهليين أنه لغة من لغات البرابرة أو الأعاجم ، فماذا سيكون موقفنـا من أصحاب هذه اللغات ، وهل نعدهم عرباً ؟

والجواب أن هؤلاء ، وإن اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا ، فإنهم عرب لحماً ودماً، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب ، لم يردوا اليها من الخارج، ولم يكونوا طارئين عليها من أمة غريبة . فهم إذن عرب مثـل غيرهم ، وكل لغات العرب هي لغات عربية ، وإن اختلفت وتباينت ، وما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم إلاّ لغة واحدة من تلك اللغات ، ميزت من غيرهـا ، واكتسبت شرف التقـدم والتصدر بفضل الإسلام ، وبفضل نزول الكتاب بهـا ، فصارت (اللغة العربية الفصحى) ولغة العرب أجمعين .

وحكمنا هـذا ينطبق على النبط أيضاً وعلى من كان على شاكلتهم ، وإن عدهم علماء النسب والتاريخ واللغـة والأخبار من غير العرب ، وأبعدوهم عن العرب والعربية،فقد كان أولئك وهؤلاء عرباً أيضاً ، مثل عرب اليمن المذكورين ومثل ثمود والصفويين واللحيانيين ، لهم لهجاتهم الخاصة ؛ وإن تأثروا بالإرمية وكتبوا بها ، فقد تكلم اليهود بالإرمية ونسي كثير منهم العبرانية ، ولكن نسيان أولئك اليهود العبرانية ، لم يخرجهم مع ذلك عن العبرانيين .

وسترد في بحثنا عن تاريخ الجاهلية أسماء قبائل عربية كثيرة عديدة لا عهـد للإسلاميين بها ، ولا علم لهم عنها ، ذكروا في التوراة وفي كتب اليهود الأخرى

وفي الموارد اللاتينية واليونانية والكتابات الجاهلية . واذا جاز لأحد الشك في أصل بعض القبائل المذكورة في كتب اليهود أو في مؤلفات الكتبة (الكلاسيكيين) على اعتبار أنها أخطأت في ادخالها في جماعة العرب ، فإن هذا الجواز يسقط حتماً بالنسبة الى القبائل المذكورة في الكتابات الجاهلية ، وبالنسبة الى القبائل التي دونت تلك الكتابات . فهي كتابات عربية ، وإن اختلفت عن عربيتنا وباينت لغتنا ، لأنها لهجة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها ، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب .

فسبيلنا في هذا الكتاب إذن ، هو البحث في كل العرب : العرب الذين تعارف العلماء الإسلاميون على اعتبارهم عرباً ، فمنحوهم شهادة العروبة ، بحسب طريقتهم في تقسيمهم الى طبقات ، وفي وضعهم في أشجار نسب ومخططات ؛ والعرب المجهولين الذين لم يمنحوا هذه الشهادة بل حرموا منها ، ونص على إخراجهم من العرب كالنبط على ما ذكرت ، والعرب المجهولين كل الجهل الذين لم يكن للمسلمين علم ما بهم ، ولم يكن لهم علم حتى بأسمائهم . سنتحدث عن هؤلاء جميعاً ، على اعتبار أنهم عرب ، جهلهم العرب ، لأنهم بادوا قبل الإسلام،أو لأنهم عاشوا في بقاع معزولة نائية ، فلم يصل خبرهم إلى الإسلاميين، فلما شرع المسلمون في التدوين ، لم يعرفوا عنهم شيئاً ، فأُهملوا ، ونسوا مع كثير غيرهم من المنسيين .

سئل أحد علماء العربية عن لسان حمير ، فقال : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا »[1] . ولكن علماء العربية لم يتنصلوا من عروبة حمير ، ولا من عروبة غيرهم ممن كان يتكلم بلسان آخر مخالف للساننا ، بل عدّوهم من صميم العرب ومن لبّها ، ونحن هنا لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربية المنسية عروبتها ، لمجرد اختلاف لسانها عن لساننا ، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها . فلغتها هي لغة عربية ، ما في ذلك شك ولا شبهة ، وإن اختلفت عن لسان يعرب أو أي جدّ آخر يزعم أهل الأخبار أنه كان أول من أعرب في لسانه ، فتكلم بهذه العربية التي أخذت تسميتها من

---

١ الجمحي : طبقات الشعراء (ص ٤ وما بعدها) .

ذلك الإعراب .

وبعد أن عرفنـــا معنى لفظة العرب والألفاظ المرادفة لها ، أقول إن بـــلاد العرب أو (العربية) ، هي البوادي والفلوات التي أطلق الآشوريون ومن جاء بعدهم على أهلها لفظة (الأعراب)، وعلى باديتهم (Arabeae) و (Arabae) وما شاكل ذلك . وهي جزيرة العرب وامتدادها الذي يكون بادية الشام حتى نهايتها عند اقتراب الفرات من أرض بلاد الشام ، فالفرات هو حدها الشرقي . أما حدها الغربي ، فأرض الحضر في بـــلاد الشام . وتدخل في العربية بادية فلسطين و (طور سيناء) الى شواطىء النيل . وقد أطلق بعض الكتـــاب اليونان على الأرضين الواقعـــة شرق الـ (Araxe) ، أي الخابور اسم (Arabia)[1] كما أدخل (هيرودوتس) أرض طور سيناء الى شواطىء نهر النيل في (العربية) (Arabia) أي بلاد العرب[2] .

أما الآن ، وقد عرفنا لفظة عرب ، وكيف تحـــددت ، وتطورت ، أرى لزاماً علينا الدخول في صلب موضوعنا وهو تاريخ العرب ، مبتدئين بمقدمة عن الجاهلية وعن الموارد التي استقينا منها أخبارها ، ثم بمقدمات عن جزيرة العرب وعن طبيعتها وعن الساميين وعقليتهم وعن العقلية العربية، تليها بحوث في أنساب العرب ، ثم ندخل بعد ذلك في التاريخ السياسي للعرب ، ثم بقية أقسام تاريـــخ العرب من حضارة ومدنية ودينية واجتماعية ولغوية .

ولما كان الاسلام أعظم حادث نجم على الاطلاق في تاريخ العرب، أخرجهم من بلادهم الى بلاد أخرى واسعة فسيحة ، وميّزهم أمة تؤثر تأثيراً خطيراً في حياة الناس .. صار ظهوره نهاية لدور ومبدأً لتاريخ دور ، ونهاية ايام عرفت بـ (الجاهلية) وبداية عهد عرف بـ (الاسلام) ما زال قائمـــاً مستمراً ، وسيستمر الى ما شاء الله ، به أُرخ تاريخ العرب ، فما وقع قبل الاسلام،عرف بتاريخ العرب قبل الاسلام ، وما وقع بعده قيل له : تاريخ العرب بعد الاسلام .

وسيكون بحثنا هنا ، أعني في هـــذه الأجزاء المتتاليـــة في القسم الأول من

---

١ Xenophon, An., I, 5, I, Der Araber, In der Alten Welt, I, S., 165.

٢ Heredot, 2, 15, Der Araber, I, S., 166.

تاريخ العرب ، وهو قسم تاريخ العرب قبل الاسلام ، أما القسم الثاني ، وهو تاريخ العرب في الاسلام ، فستأتي أجزاؤه بالتتالي أيضاً بعد الانتهاء من هذا القسم .

وبعد هذه المقدمة ، فلنطوِ صفحات هذا الفصل ، ولننتقل الى فصل جديد ، هو الفصل الثاني من هذه الفصول ، فصل : الجاهلية ومصادر التاريخ الجاهلي .